الفصل الرابع

الطفل فى الإسلام

إذا كانت الأمم المتحدة قد بدأت تهتم بالطفولة وقررت إقامة عيد لها فى نوفمبر من كل عام فى ذكرى حقوق الطفل، وهذا من خلال الوثيقة التى أعلنتها المنظمة الدولية، فإن الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام عنى بالطفولة وجعلها من أهم مبادئه الأساسية ورعايته عيدا دائما لها، ولم يكتف بحقوق الطفل منذ وجوده فى الحياة بل حدد له حقوقه حتى قبل أن يولد، أى قبل أن تدب فيه الحياة. وهذا يدل على مدى عناية الشارع الحكيم بالطفل كى ينمو وينشأ فى بيئة صالحة وسوية، نافعا لمجتمعه وأمته.

للطفولة فى الإسلام عالمها الجميل الملىء بالبهجة والجمال وحديث القرآن والسنة عن الطفولة يفيض بالمودة والنبل، فقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾[1]، والأطفال بشرى، فقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[2]، وهم قرة العين: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ۝٧٤﴾[3] وهم زينة الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۝٤٦﴾[4] ولقد رسم لنا ﷺ عالم الطفولة وكأنة عالم قريب من عالم الجنة فيقول: «الأطفال دعاميص[5] الجنة». فرعاية الأطفال واجبة وحبهم قربى أليس ﷺ هو القائل عن رب العزة: «لولا أطفال رضع، وشيوخ ركع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا» لقد جُعِلَتْ الأطفال سببًا فى عدم نزول العذاب.

لا يعنى الإسلام فقط بالطفل من يوم مولده، بل إنه يرعاه غيبًا ويخطط مستقبله وهو مازال أمنية فى ضمير الغيب، فبمجرد تفكير الأب فى الزواج وتكوين الأسرة، يبدأ الإسلام بتحديد معالم الطريق، والأسرة فى التشريع الإسلامى لها مكانتها وخطورتها وهى المسئولة عن إعداد الطفل فى الحياة الاجتماعية ليكون عضوًا فعالاً صالحًا، فالأسرة هى المؤثرة فى كل مراحل

---

(١) سورة البلد آية رقم ١ – ٣.

(٢) سورة مريم آية رقم ٧.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٧٤.

(٤) سورة الكهف آية رقم ٤٦.

(٥) الدعاميص: نوع من الفراشات الجميلة.

الحياة بالنسبة لطفلها إيجابا وسلبا، لهذا أبدى التشريع الإسلامى عناية خاصة بها ووحد لها القواعد الأساسية فى تنظيمها وضبط شئونها وتوزيع الاختصاصات فيها وتوزيع الأدوار وتحديد الواجبات المسئولة عن أدائها وخاصة فيما يتعلق بتربية الطفل وتشكيل جوانب شخصيته الفكرية والسلوكية والعاطفية[1].

ودعا التشريع الإسلامى إلى المحافظة على كيان الأسرة وحماية أعضائها من التفكك الأسرى والى كل ما يؤدى إلى خلق الاضطرابات فى العلاقات الداخلية مما يؤدى إلى تشرد الأطفال وتفكك هذا الكيان الأسرى الذى يحميهم ويعدهم للمستقبل الذى ينتظرهم.

فقد رأى الإسلام أن الأسرة السليمة هى التى يكون لها أثر كبير فى حياة أطفالها وهذا التأثير اقوى وأشد عمقا وأصعب زوالا عن غيرها من مؤسسات الرعاية، فلا تقف أهمية الأسرة بالنسبة لطفلها على مدى ما يحفظ له حياته، بل يتعدى ذلك إلى ما يجعله عضوا متوافقا مع أفراد الجماعة التى ينتمى إليه[2].

مما سبق نرى أن الإسلام اهتم ببناء الأسرة الصالحة ودعَّم أركانها وحدد أصول العلاقة بين أفرادها كى تتحقق التنشئة الصحيحة لأطفالها وتحميهم من التعرض للانحراف، وهذا لن يتم إلا من خلال أسرة تمنحهم الحب والحنان والعطف والقدوة الطيبة والطمأنينة والأمن، فى مثل هذا الجو يشعر الطفل بدفء القبول ويحصل على ما كفله له الإسلام من حقوق.

بناء على ما سبق نستشعر كيف حرص الإسلام على تكوين الأسرة على أسس قويمة يسودها الحب والألفة والتماسك، منذ مرحلة ما قبل الاقتران «الانتقاء»، ثم مرحلة الاقتران «الزواج» ثم مرحلة ما بعد الاقتران «الطفولة».

هذا ما سوف يتناوله هذا الفصل من خلال استعراضه لمرحلة ما قبل الاقتران، وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين، وقد يهتم القسم الأول بحسن اختيار الزوجة وقد حدد التشريع الإسلامى للزوج بعض الشروط التى يتم بها اختيار الزوجة على أسس قويمة، وهى الاختيار على أساس الإيمان، التدين، الأصل والشرف، الملاحة والجمال، البكارة، أن تكون الزوجة ولودًا، أن يكون عمرها مناسبا لزوجها، استحسان الزواج من الأباعد، ويحتوى القسم الثانى من هذه المرحلة على حسن اختيار الزوج بناء على التعاليم الإسلامية، ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية « الاقتران» « الزواج» ويتم فيها استعراض دليل الزواج، أشكاله، فوائده بالإضافة إلى حقوق الزوجين فى الإسلام، وأخيرا المرحلة الثالثة وهى ما بعد الاقتران « الطفولة» وتم فيها تناول حقوق الطفل فى الإسلام بداية من حقه فى الحياة، اختيار اسم له، النفقة، ثبوت النسب، الرفق فى التربية،

---

(١) تربية الطفل فى الإسلام، دراسة نشرت فى http //www.rafed net.2003.p 7

(٢) حسن إبراهيم عبد العال، أصول تربية الطفل فى الإسلام، رسالة دكتوارة غير منشورة، قسم أصول التربية، جامعة طنطا، ١٩٨٠ ص ٢٠.

التنشئة على الأخلاق الفاضلة، الذمة المالية الخاصة، القدوة الحسنة، المساواة فى المعاملة، التربية الجسدية، التربية العقلية، التربية النفسية، حمايته من التعرض للانحراف، وأخيرا حقه فى عدم استغلاله جنسيا.

أولاً: مرحلة ما قبل الاقتران «الانتقاء، الاختيار»

تؤكد المواثيق والقوانين الدولية على حق الطفل فى الرعاية الصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتؤكد الشريعة الإسلامية على ما هو أسمى من ذلك ويتمثل فى حق الطفل قبل وجوده، وهذا الحق يتمثل فى اختيار الأب والأم.

بناء على ذلك يعتبر الإسلام مرحلة ما قبل الاقتران من أهم المراحل الثلاث « الاقتران، ما بعد الاقتران» حيث إنها الأساس فى تكوين الطفل وإذا كان الأساس سليما فإن ما يبنى عليه يكون سليما بالتبعية، لذا حث الإسلام على « الزواج الانتقائى» أى انتقاء الزوجين من أسرة صالحة.

تنقسم مرحلة ما قبل الاقتران إلى قسمين، الأول: اختيار الزوجة، الثانى: اختيار الزوج.

● اختيار الزوجة

وضع التشريع الإسلامى بعض الشروط الذى يسير بهداها الزوج فى اختياره للزوجة الصالحة، حيث إنها تعكس سلوكها وشخصيتها على أطفالها حيث إنهم يتأثرن سلبا وإيجابا بوالدتهم، فالأم شريكة للأب فى توجيههم ووقايتهم من الانحراف، وهى كما يلى:

١ - الاختيار على أساس الإيمان

يعتبر الإيمان عماد الحياة الطيبة، فالزواج عبارة عن علاقة إنسانية دائمة بها حدود وقيود وغايات وأهداف، والإيمان يحمى هذه العلاقة ويقيها ويحمى كيانها، والزوجة المؤمنة تراعى الأمانة وتأمر أطفالها بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتحفظ نفسها وبيتها، أما المشركة فليس لها دين ولا تحرم الخيانة ولا توجب الأمانة ولا تنهى عن المنكر وليس لديها شعور بمسئولية ولا تقديس لقيم ولا رعاية لذمم[1].

٢ - الاختيار على أساس الدين

يتم اختيار الزوجة على أساس الفهم الصحيح والحقيقى للإسلام، والتطبيق العملى السلوكى لكل فضائله السامية وأخلاقه الرفيعة والالتزام الكامل بمنهجه الشرعى ومبادئه الخالدة[2].

قال ﷺ «من تزوج امرأة لجمالها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لمالها لم يزده الله

---

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) عادل محمد صالح أبو العلا، حقوق الطفل من وجهة نظر الإسلام، الندوة الدولية حول قضايا الطفل من منظور إسلامى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، الرباط، المملكة المغربية فى الفترة من ٢٩ أكتوبر إلى نوفمبر ٢٠٠٢، صـ١١.

إلا فقرًا ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا ذلا ومن تزوج امرأة لدينها بارك الله فيها وبارك لها فيه»[1].

وقال ﷺ «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» وقال أيضا ﷺ «إن الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[2] وقال ﷺ «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن لدينهن ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل»[3].

لقد امتن أبو الأسود الدؤلى وهو من كبار التابعين على أبنائه قائلاً أحسنت إليكم كبارًا وصغارًا وقبل أن تولدوا قالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال اخترت لكم من النساء من لا تسبون بهن» أى اختار الزوجة على أساس الدين.

مما لا شك فيه أن هذه الأحاديث النبوية الشريفة أكدت على اختيار المرأة المتدينة الصالحة لما لها من التأثير الأكبر فى تربية أطفالها تربية سليمة.

٣ - الاختيار على أساس الأصل والشرف:

يتم اختيار الزوجة من أسرة صالحة عرفت بالخلق والصلاح والشرف، حيث إن الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفًا ويتفاضلون فسادا وصلاحا[4].

روى ابن ماجة والدار قطنى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال ﷺ «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء» وقال «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»[5].

٤ - الاختيار على أساس الملاحة والجمال:

ينبغى أن تكون الزوجة على قدر من الملاحة والجمال بحيث تعجب زوجها ويرضى عنها، وليس فى هذا الجانب قدر محدود عند الناس يتفقون عليه حيث يتفاوت الناس فى تقديرهم لشىء ما ولكن هناك مقاييس عامة فى الجمال يتفق عليها الناس، ولكن الجمال الذى يجعله الشرع الشريف أحد أسس الاختيار هو الجمال الذى يرضى عنه الزوج ليكون رضاه يعينه على

---

(١) البخارى، صحيح البخارى، كتاب النكاح، الكتاب السادس عشر، المجلد الثالث. دار مطابع الشعب، ص ٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام النووى، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، المجلد العاشر١٩٧٢، ص ٥١.

(٤) زين العابدين محمد على رجب، المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية فى رعاية إسلامنا، بحث مقدم إلى أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية فى الإسلام، المعهد العالى للفكر الإسلامى، القاهرة فى الفترة من ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ ص ٤٤٨.

(٥) البخارى المجلد التاسع ص ص ٢٩ - ٣٠.

أن يغض بصره ويحصن نفسه[1].

لذا وجه ﷺ أحد الصحابة إلى النظر إلى وجه من يريد زواجها فقال ﷺ «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[2] وقال ﷺ «خير نسائكم من إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله»[3].

٥ - البكارة:

إذا توفر الإيمان والتدين فى اختيار الزوجة فلا يمنع الإسلام الإنسان من إشباع ما يدعوه إلى النكاح من الأمور المادية، والمقصود هنا الجمال الذى يحقق المودة والسكينة والرحمة والعفة والتحصين.

من مظاهر الجمال أن يميل الزوج إلى تفضيل المرأة البكر حيث إنها قليلة الخبرة لم يسبق لها عهد بالرجال فيكون التزوج بها ادعى إلى تقوية عقدة النكاح ويكون حبها لزوجها ألصق بقلبها[4].

لقد روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال: تزوجت، فقال ﷺ: «ما تزوجت؟، فقلت: ثيبا، فقال ﷺ: هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك»[5].

٦ - أن تكون الزوجة ولودا:

ليتحقق بها الغرض الأسمى من الزواج وهو النسل، فعن معقل بن يسار أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: إنى أحببت امرأة ذات حسن وجمال وأنها لم تلد أفأتزوجها؟ فقال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة[6]. ويعرف كون الزوجة ولودًا بكونها من عائلة تعرف بكثرة الولد.

٧ - حسن اختيار عمر الزوجة:

حيث إن عمر الزوجة له دور هام فى تحسن النسل وسلامة الذرية من العيوب الخلقية والعقلية، وقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يولدون من زوجين فى ريعان الشباب يعيشون أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة[7].

---

(١) عادل محمد صالح أبو العلا، مرجع سبق ذكره.

(٢) أخرجه الترمذى حديث رقم ١٠٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم ١٦٦٤.

(٤) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

(٥) الإمام البخارى، صحيح البخارى، مرجع سبق ذكره، ص ٦.

(٦) رواه أبو داود والنسائى والحاكم.

(٧) حسن بن خالد حسن سندى، عناية السنة النبوية بحقوق الطفل، الندوة الدولية حول قضايا الطفل من منظور إسلامى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، الرباط، المملكة المغربية فى الفترة من ٢٩ أكتوبر إلى نوفمبر ٢٠٠٢، ص ١٢.

٨ - استحسان الزواج من الأباعد:

لقد ورد فى الشـريعة أن النبـى ﷺ كرّة الزواج من الأقارب لعـدم ضعف الذرية. ولاحتمال توارث الأمراض حيث قال عمر بن الخطاب لجماعة من بنى السائب لاحظ ضعف ذرياتهم يا بنى السائب قد ضعفتم فانكحوا فى الغرائب[1]. وقال ﷺ «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاريًا، وقال اغتربوا ولا تضروا»[2].

لقد أثبت علم الوراثة الحديث: أن كل فرد يحمل من أربعة إلى ثمانية جينات مشوهة إلا إنها لا تشـكل خطورة على صحته لأنها توجد متنحية كما أن كل فرد من ثلاثة أشـخاص طبيعيين يحمـل جينـا مختبئا يؤدى فى حالة وجوده بشـكل زوجى إلى قصور عقلـى خطير وعند زواج شخص بآخر من نفس عشيرته فإن الاحتمال كبير فى أن يكون الزوج حاملا لنفس الجين المشوه ويرتفع ذلك الاحتمال عند الزواج من نفس عائلته مما يؤدى إلى زيادة مضطردة فى احتمال ولادة أطفال مصابين بأحد الأمراض الوراثية[3].

لقد حذر ﷺ من الزواج من الحسـناء المترعرعة فى منبت السـوء فقال ﷺ «وإياكم وخضراء الدمن قالوا وما هى خضراء الدمن يا رسـول الله قال المرأة الحسـناء فى منبت السـوء[4]، وحذر الإمام على رضى الله عنه من الزواج من:

١ – المرأة المجنونة خوفا من انتقال الصفات منها إلى ولدها فسـئل عن ذلك فقال «لا» ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة فلا بأس أن يطأها ولا يطلب ولدها.

٢ – المرأة الزانية فقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ ﴿٣﴾﴾[5] حيث إنها تخلق فى أبنائها الاستعداد لهذا العمل غير الشريف.

٣ – تـزوج المـرأة الحمقاء لانتقال هذه الصفة إلى أبنائها ولعـدم قدرتها على تربية أبنائها تربية سوية فقال «إياكم وتزوج الحمقاء فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع»[6].

انطلاقا مما سـبق فقد أكدت جميع الروايات السـابقة على حسن اختيار الزوجة حيث إنها الأسـاس فى تنشئة أبنائها وتعويدهم على الصفات الحميدة وحمايتهم من كل أنواع الانحراف، ويعتبر هذا عملها وهى مكلفة به تكليفا شرعيا قبل أى شىء آخر.

---

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

(٢) الإمام البخارى، صحيح البخارى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

(٣) أحمد ربيع عبد الحميد، حقوق الطفل فى الإسلام، دراسة نشرت فى المؤتمر الدولى للطفولة فى الإسلام، المجلد الأول فى الفترة من ٩ – ١٣ أكتوبر ١٩٩٠ ص ٨٤.

(٤) الامام البخارى صحيح البخارى مرجع سبق ذكره.

(٥) سورة النور الآية ٣.

(٦) تربية الطفل فى الإسلام، مرجع سبق ذكره.

● **اختيار «انتقاء» الزوج:**

حث الإسلام ولى الزوجة على حسن اختيار الزوج لما له دور بالغ الأهمية فى تنشئة الطفل وإعداده نفسيًا ومعنويًا وماديًا، بالإضافة إلى أنه القدوة التى يقتدى بها الطفل وتنعكس عليه صفاته وأخلاقه الوراثية والتربوية.

لقد حث الرسول ﷺ على اختيار الزوج المتدين فقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إلا أن تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير، قالوا يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، وكررها ثلاث مرات»[1].

نهى الإسلام الزواج من الإنسان المنحرف سلوكياً وهو الذى لا يتبع المنهج الإسلامى فى الحياة الدنيا وذلك لتحصين الأسرة والأطفال من الانحراف.

لقد حرص الإسلام بكل السبل على أن يوفر للأطفال الظروف الأسرية المناسبة التى تساعد على تنشئتهم تنشئة صالحة طيبة، لذا جعل الشروط السابقة فى اختيار الزوج والزوجة هى أساس الأسرة الصالحة التى تصون الطفل وتحفظه من كل سوء وتوفر له الجو الإيمانى الذى يبعده عن كل شر وتجعله قدوة صالحة لغيره من الأطفال وتجنبه كل أنواع التعرض للانحراف.

ثانيا: مرحلة الاقتران «الزواج»

هى تلك المرحلة الاختيارية التى يتم من خلالها اختيار كل من الزوج والزوجة لتكوين بناء أسرى سليم، إن اختيار الزوج والزوجة هو الأساس السليم لتكوين الطفولة الناتجة عنه، وهو ما يعرف بالزواج.

دليل الزواج من القرآن والسنة المطهرة

أولا: دليله من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴿٧٢﴾ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ ﴾[3] وقوله: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] وقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴿٣﴾ ﴾[5].

---

(١) أخرجه الترمذى «السنن» كتاب النكاح حديث رقم ١٠٨٥.

(٢) سورة النحل آية رقم ٧٢.

(٣) سورة الروم آية رقم ٢١.

(٤) سورة النور آية رقم ٣٢.

(٥) سورة النساء آية رقم ٣.

ثانيا: دليله من السنة:

مـا رواه حميد ابـن حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضـى الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالّوها فقالوا أين نحن من النبى ﷺ فقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال احدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقـال آخر: وأما أنـا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النسـاء فلا أتزوج أبدا، فجـاء إليهـم ﷺ فقال: أنتـم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشـاكم لله واتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى.»[1] وقوله ﷺ «يا معشر الشـباب من اسـتطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يسـتطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

أشكال الزواج:

إن الزواج ظاهرة مقدسـة Sacred Phenomenon ونظام إلهى مقدس خلقه الله وأكدته الشرائع السـماوية والكتب المقدسة كأسـاس للحياة الإنسانية وللزواج أشـكال عديدة تختلف باختلاف المجتمعات، وفى المجتمع نفسه باختلاف الأوقات من وقت لآخر.

١ - الزواج الأحادى Monogamy:

هو أن يتزوج رجل واحد من امرأة واحدة وهذا الشـكل من الزواج الأكثر شـيوعا فى كثير من المجتمعـات، وهـذا لا يعنى أن الزواج لا يتم إلا مرة واحدة فى العمر بل يمكن الزواج من أخرى فى حالة الطلاق أو الوفاة بالنسبة لأحد الزوجين

٢ - تعدد الزوجات Polygamy:

هـو أن يتزوج رجـل واحد من أكثر من زوجة، وهناك ظـروف ودوافع عديدة تؤدى إلى ذلك مثل الرغبة فى الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور لإظهار المكانة العالية والهيبة، وعادة ما يراعى فى الأسـرة التى تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل أن يكون للزوجات حقوق متسـاوية، أن تقيـم كل زوجـة فى مكان مسـتقل، وأن يكون للزوجة الأكبر سـنا «أول زوجـة فى العادة» مميزات ونفوذ.

---

(١) البخارى، صحيح البخارى، مرجع سبق ذكره.

(٢) المرجع السابق، ص ٣.

٣ - تعدد الأزواج Polyandry:

هو نادر الحدوث وهو منتشر بدرجة محدودة فى قبائل «التودا» فى الهند وهو أن تتزوج امرأة واحدة بأكثر من رجل وهم فى العادة يكونون أشقاء ومن نفس الجيل وهذا النوع من الزواج يرجع إلى ظروف الفقر الشديد الذى يصاحب الرجل[1].

٤ - الزواج الجماعى Group Marriage:

هو زواج عدة نساء من عدة رجال وهذا الزواج كان سائدًا فى المجتمعات البدائية، وقد بدأ فى الانتشار فى وقتنا المعاصر نظرا لقلة تكاليف هذا الزواج على العروسين.

فوائد الزواج:

رغب الإسلام فى الزواج لفوائده وآثاره النافعة التى تعود على الزوجين أنفسهما وعلى المجتمع كله من صيانة وعفاف وتربية وتعمير وبناء واستقرار، لذا فإن فوائدة متعددة نذكر منها ما يلى:

١ - المحافظة على النوع الإنسانى:

شرع الله سبحانه وتعالى الزواج لحكمة بالغة وهى المحافظة على الجنس البشرى حيث إن بقاءه وتكاثره يعنى استمرار دورة الحياة الدنيا وبالتالى تحقيق الخلافة الأرضية التى أرادها الله سبحانه وتعالى لبنى آدم أن يحملوها[2].

٢ - المحافظة على الأنساب:

شرع الله تعالى الزواج للمحافظة على الأنساب فبالزواج يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، بالإضافة إلى استقرارهم النفسى والمحافظة على كرامتهم الإنسانية، ولكن بدون الزواج لا يستطيع الأبناء تحقيق أى شىء مما سبق.

٣ - سلامة المجتمع من الانحلال الخلقى:

شرع الزواج لسلامة المجتمع من الانحلال الأخلاقى، حيث إن الزواج هو الطريق الصحيح والمشروع للاتصال الحلال بين الزوجين وفى ما عداه يعتبر انحلالا أخلاقيا فى المجتمع، وتتحلى الأمة فى ظل الزواج بالأخلاق والقيم والآداب وتكون جديرة بأداء الرسالة وحمل المسئولية على الوجه الذى يريده الله تعالى منها، وما أصدق ما قاله ﷺ للشباب ليبن فائدته الاجتماعية ويخصهم به[3] فقال «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

---

(١) سناء الخولى، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥٢ - ٥٤.

(٢) أمين عبد المعبود زغلول، رعاية الطفولة فى الشريعة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، الطبعة الاولى ١٩٩١، ص ٢٠.

(٣) عبد الخالق عفيفى، الأسرة والطفولة، مرجع سبق ذكره.

للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

٤- سلامة المجتمع من الأمراض:

بالزواج يقل انتشار بعض الأمراض الخطيرة بين أفراد المجتمع نتيجة الاتصال الجنسى المحرم «الزنا» ومن هذه الأمراض الإيدز، السيلان، الزهرى التى تقضى على المناعة وتضعف الجسم وتفتك بصحة الإنسان، فقال ﷺ «تناكحوا تكاثروا فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة».

٥- السكن النفسى والروحى لكلا الزوجين:

يحقق الزواج فائدة عظيمة لكلا الزوجين وهى المودة والرحمة والسكينة بينهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

٦- العمل والسعى:

بالزواج ينطلق الرجل المتزوج إلى العمل والسعى لكفاية نفسه وأسرته فيكثر من أسباب الاستثمار والتنمية، بخلاف غير المتزوج الذى يسعى ولكن بشكل مختلف عن الآخر صاحب المسئولية والعبء فالأخير يكثر فى العمل والسعى ليحمى نفسه من السؤال، والتعفف عن السؤال من الأعمال المحمودة دينيا ودنيويا والتعفف والتستر أوفى من البطالة ومن الاشتغال بالعبادات البدنية، وقد روى الإمام احمد بن أنس قول الرسول ﷺ «الساعى على والديه ليكفيهما أو ليغنيهما عن الناس فى سبيل الله، ومن سعى على زوج أو ولد ليكفيهم أو يغنيهم عن الناس فى سبيل الله، والساعى على نفسه ليغنيها ويكفها عن الناس فى سبيل الله، والساعى مكاثرة فى سبيل الشيطان».

٧- تقوية أواصر المحبة:

يزيد الزواج التقارب بين الأفراد ويقوى المجتمع، حيث إن الزواج لا يقصد به فقط قضاء الشهوة لذاتها وإنما يقصد به الترابط الأسرى بالمصاهرة والنسب داخل المجتمع الواحد ويبارك الإسلام لهذه المحبة فى المجتمع لاتساع دائرة التعارف الإنسانى بنسب الذكور ومصاهرة الإناث. قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴿٥٤﴾ ﴾[3].

حقوق الزوجين فى الإسلام:

وضع المنهج الإسلامى حقوقا وواجبات لكلا الزوجين ليسيروا على هداها والمراعاة لها كفيل

(١) صحيح البخارى، البخارى، مرجع سبق ذكره.
(٢) سورة الروم آية رقم ٢١.
(٣) سورة الفرقان آية رقم ٥٤.

بإشاعة جو الاستقرار والطمأنينة فى أركان الأسرة.

حقوق الزوج

١ - حق القوامة:

حث الإسلام الزوجة على مراعاة حق القوامة لزوجها حيث إن الحياة الأسرية لا تسير بلا قوامة من الزوج، والقوامة للرجل ملائمة لطبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكلا الزوجين وان تراعى هذه القوامة فى تعاملها مع الأطفال وتشعرهم بقوامة والدهم[1]. فقال تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٣٤﴾﴾[2].

٢ - الطاعة:

تعد الطاعة فى غير معصية الله من أهم حقوق الزوج على الزوجة. فقال ﷺ «أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها شيئا إلا بإذنه ولا تصوم تطوعا إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قلب ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه»[3].

حقوق الزوجة على الزوج:

١ - الكسوة والطعام:

للزوجة حق على زوجها فى الكسوة والطعام كل على قدر استطاعته سواء كان موسرا أم معسرا.

فقال ﷺ فى حق الزوجة على زوجها «يشبع بطنها ويكسو بدنها وإن جهلت غفر لها»[4].

٢ - إشباع حاجة بيتها المادية:

فقال ﷺ «الكادح على عياله كالمجاهد فى سبيل الله»، وقال ﷺ: «حق المرأة على زوجها أن يسد جوعتها وأن يستر عورتها ولا يقبح لها وجها فإذا فعل ذلك فقد أدى والله حقها».

والالتزام بحقوق الزوج من قبل الزوجة وبحقوق الزوجة من قبل الزوج ضرورى ليشيع الأمن والاستقرار فى أركان الأسرة فيكون التفاعل إيجابيا ويدفع كلا من الزوجين للعمل من أجل سعادة الأسرة.

لهذا فإن استقرار الحياة الزوجية بين الزوجين غاية من الغايات التى يحرص عليها الإسلام وعقد الزواج إنما يعقد للدوام والتأبيد وإن الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها وليس

---

(١) تربية الطفل فى الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

(٢) سورة النساء آية رقم ٣٤.

(٣) صحيح البخارى، البخارى، مرجع سبق ذكره.

(٤) صحيح البخارى، البخارى، مرجع سبق ذكره.

أدل على قدسيتها من أن الله سبحانه وتعالى سمى العهد بين الزوج والزوجة بالميثاق الغليظ[1]. فقال تعالي: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾[2].

إذا كانت العلاقة بين الزوجين هكذا موثقة مؤكدة فإنه لا ينبغى الإخلال بها ولا التهوين من شأنها وبقدر تعاون وتفاهم الزوجين فى الأسرة يكون نجاحها فى توفير حياة سعيدة سليمة هدفها بناء شخصيات الأبناء وتنمية علاقاتهم الأسرية داخل المجتمع[3].

المنهج الإسلامى والزواج:

ينبغى على كل من الزوجين قبل الزواج أو بعده الاتفاق على منهج تربوى شامل يحدد واجباتهم واختصاصاتهم ويوزع الأدوار عليهم، ومن أفضل المناهج التى يجب أن يسير عليها كل من الزوجين «المنهج الإسلامى» وتتحدد معالم هذا المنهج فيما يلى:

الاتفاق على منهج مشترك:

يجب على الزوجين الاتفاق على منهج واحد مشترك يحدد لهما العلاقات والأدوار والواجبات فى مختلف جوانب حياتهم، والمنهج الإسلامى بقواعده الثابتة من أفضل المناهج التى يجب أن تسير عليها الأسرة المسلمة حيث إنه منهج ربانى موضوع من قبل الله عز وجل المهيمن على الحياة بأسرها والمحيط بكل دقائق الأمور وتعقيدات الحياة، وهو منهج منسجم مع الفطرة الإنسانية ليس فيه غموض ولا تعقيدات ولا تكليف بما لا يطاق. وهو موضع قبول من الإنسان المسلم والأسرة المسلمة فيجمع التوجيهات والقواعد السلوكية التى تستمد قوتها وفاعليتها من الله سبحانه وتعالى وهذه الخاصية تدفع الأسر إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه فى داخلها فلا مجال للنقاش فى خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تنفيذه، فهو الكفيل بإشاعة السعادة الأسرية التى ترجوها الأسرة وهو يساعد على تربية الطفل تربية صالحة وسليمة وإذا حدث خلل فى العلاقات أو تقصير فى أداء بعض الأدوار فإن تعاليم المنهج الإسلامى تتدخل لإنهائه وتجاوزه[4].

لهذا يجب على الوالدين الاتفاق على هذا المنهج وعلى كل تفاصيل تطبيقه، وان يكون هناك قواعد ومعايير ثابتة ومقبولة من كليهما سواء فى العلاقات القائمة بينهما أم علاقاتهما مع أطفالها، حيث إن الاختلاف فى طرق التعامل مع الأطفال يؤدى إلى عدم وضوح القواعد

(١) زينب رضوان، معالجة الإسلام لعثرات الحياة الزوجية، المجلة الجنائية القومية، المجلد الحادى والأربعين، العدد الأول، مارس ١٩٩٨، ص ١١١.

(٢) سورة النساء آية رقم ٢١.

(٣) زينب رضوان، مرجع سبق ذكره، ص ١١١.

(٤) تربية الطفل فى الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ١٠.

السلوكية لهم.

لكـن من الملاحظ أن الكثير من الأسـر فى مجتمعنا المصرى تجهل هذا المنهج الإسـلامى مما يعرضها للصعوبات والتخبط فى مسـيرة حياتهم وفقدان الاسـتقرار النفسـى والأمان المنشود وقد يصل الأمر إلى التفكك والانهيار الكامل لبناء الأسرة[1].

ثالثا: مرحلة ما بعد الاقتران «الطفولة»

تعتبر الطفولة فى الإسلام رائدة المستقبل، وإذا كان الأطفال مسلحين بالإيمان ومستنيرين بالعلم مدعمـين بالتجربـة والخبرات والنصائح، وإذا كانوا فى تكوينهم الأول أخذوا الطابع الجاد القائم علـى العلم والعمـل والإخلاص والخلق الفاضل والتربية الإسـلامية الصحيحة القائمة على العمل والقدوة قبل الأمر والتوجيه والتعسف قامت حياتهم على الإيمان بالله وانتهاج منهاج الحق والعدل والجد والاجتهاد ونهض بهم المجتمع والمستقبل[2].

فموضـوع الطفولـة فى الإسـلام موضوع له أهميته فهـو من ناحية حق إنسـانى لا نقاش فيه ولا جدال، حيث إنه يتعلق بمرحلة من أهم مراحل الطفل التى يكون فيها لا حول له ولا قوة وهى مأمورة إلى غيره ليحسن القيام عليها حتى ينمو ويقوي، أو يهمله فيضيع وتتلقفه أيدى المنحرفين فيكون عنصرًا هدامًا فى بناء مجتمعه، ومن ناحية أخرى حق للمجتمع أن يعد أبناءه بالصورة التى تمكنهم من تقديم خدماتهم إليه بما يسهم فى تقدمه وبما يساعد على تماسكه واستمراريته[3].

إذا كانت الأمم المتحدة قد بدأت فى الآونة الأخيرة تعنى بالطفولة وقررت إقامة عيد لها فى نوفمـبر مـن كل عام فى ذكرى إعلان حقوق الطفل وهذا مـن خلال الوثيقة التى أعلنتها المنظمة الدولية، فإن الإسـلام من أكثر من ألف وأربعمائة عـام عنى بالطفولة وجعل من مبادئه الكريمة ورعايته عيدا دائما لها ولم يكتف بحقوقه منذ وجوده فى الحياة ولكن حدد له حقوقه حتى قبل أن يولد[4]، أى قبل أن تدب فيه الحياة وهذا يبين لنا مدى عناية الإسلام بالطفل لكى ينشأ فى بيئة صالحة وسوية ويكبر صالحا وسويا نافعا لمجتمعه وأمته.

لهذا فإن الإسلام أقر حقوق الطفل وعنى بها وأوضحها كتابا وسنة وهذا لإعداد الطفل لخلافة الله فى الأرض وتنمية اسـتعداداته وتوجيهها نحو الخير والصلاح وإحداث التغيير المرغوب فى سـلوكه وتوجيهـه إلى ما ينبغى أن تكـون عليه علاقته بخالقه وبغيره من أبناء مجتمعه وسـائر

---

(١) زينب رضوان مرجع سبق ذكره، ص ١١٠.

(٢) أحمـد عمـر هاشـم، الطفولة فى الإسـلام، المؤتمر الدولى للطفولة فى الإسـلام، جامعة الأزهـر، المجلد الأول من ٩ – ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ ص ٤١.

(٣) أحمد ربيع عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص ٨١.

(٤) مرفت مرسـى، عبد الله أمين عشـرى، قانون الطفـل، المركز القومى للثقافة الطفـل، المجلس الأعلى للثقافة، ص ٨١.

ما فى الكون من مخلوقات وقوى، ولم تكن حقوق الطفل فى الإسلام مجرد وصايا ينفذها الوالدان والمجتمع بدافع العطف والوجدان ولكن هذه الحقوق فرض والتزام يلتزم به الجميع ويحميها القانون الإسلامى والشريعة الإسلامية[1].

عندما نظر التشريع الإسلامى إلى الطفل نظر إليه باعتباره إنسانا كامل الحقوق واستوعب جميع جوانب حياته، والمتأمل فى التشريع الإسلامى يجد هذا واضحا فيه وقد أعطى فيه التشريع للطفل حقوقه المادية، الروحية، الجسدية، النفسية، التعليمية، التربوية بأفضل صور الرعاية والمحافظة عليها[2].

وتعتبر حقوق الطفل فى الإسلام من الموضوعات الهامة التى عنى بها الإسلام وهى تفصيلا كالآتى:

١ - حق الطفل فى الحياة:

هو أول حق قرره الإسلام للطفل بحيث لا يجوز هدر حياته أو الاعتداء عليه بأى حال من الأحوال. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[4] وهذا الحق يثبت للطفل حتى قبل مولده وقد حرم الإسلام إيذاءه أو إلحاق الضرر به بأى شكل من الأشكال بما فى ذلك الإجهاض.

٢ - حق الطفل على والديه اختيار اسم حسن له:

إذا ولد الطفل فإن أول الإحسان إليه والإكرام له هو اختيار اسم حسن له، حيث إن هذا الاسم يؤثر تأثيرا كبيرا على شخصيته وعلى نفسيته طوال حياته سواء كان ذكرا أم أنثى[5]. ومما يؤكد على حسن اختيار الآباء لأسماء أطفالهم قوله صلى الله عليه وسلم «تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن» وروى أبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم.» وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «لما ولد الحسن رضى الله عنه سميته حربا فجاء ﷺ فقال: ارونى ابنى ما سميتموه ؟ قلنا: حربا، قال: بل الحسن، فلما ولد الحسين رضى الله عنه سميته حربا، فجاء ﷺ فقال: ارونى ابنى ما سميتموه؟ قلنا: حربا، فقال: بل الحسين، فلما

---

(١) حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

(٢) عادل محمد صالح أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص ٣.

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣..

(٤) سورة الإسراء آية رقم ٣١.

(٥) رواه مسلم والترمذى عن ابن عمر.

ولد الثالث عنه سميته حربا، فقال: بل هو محسن، ثم قال: إنى سميتهم بأسماء ولد هارون بشر وبشير ومبشر» وقد عانى بعض الأطفال من أسمائهم حيث إنها تحمل معانى وصفات غير محببة فتتأثر نفسياتهم ويتعرضون للبؤس والتعاسة طوال حياتهم، وغالبا ما تكون أول كلمة يتعلمها الطفل هى اسمه حتى ومن قبل أن يكتبها فإذا كان اسمه جميلا انعكس ذلك عليه بهجة وسعادة وإن كان قبيحا انعكس عليه بؤسا وشقاء[1].

تؤكد الأحاديث السابقة على حسن اختيار الآباء لأسماء أطفالهم ومدى عناية الإسلام بها حيث إن هذه الأسماء سواء كانت حسنة أم ذميمة فإنها تؤثر على نفسية وشخصية الطفل فى المستقبل، وهذا حق من حقوقه على والديه وهو حق فى الإسلام.

٣ - حق الطفل فى النفقة:

تعتبر النفقة واجبة على الآباء للأبناء حتى يبلغوا مبلغ الرجال، وقد ألقت الشريعة مسئولية النفقة على الأب حتى تتفرغ الأم إلى رعاية الطفل، وكل من الوالدين يؤدى دوره كما حددته الشريعة وفى حدود طاقة وإمكانيات كل منهما[2]. قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3] وقد جعل ﷺ النفقة على الأبناء أفضل من النفقة فى سبيل الله، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال ﷺ «دينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على اهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك».

أما فى حالة إعسار الأب فتوجب نفقة الطفل على أمه إذا كانت موسرة وتستمر هذه النفقة إلى أن يخرج الأب عن هذه العسرة أو يكبر الطفل ويصبح قادرًا على الكسب والنفقة على نفسه[4].

٤ - حق الطفل فى ثبوت النسب:

صانت الشريعة الإسلامية الأنساب من الضياع والكذب والتزييف والشك وجعلت ثبوت النسب حقا للولد يدفع به عن نفسه المذلة والضياع، ويرجع أهمية هذا الحق إلى أنه يترتب عليه حقوق أخرى مثل حق النفقة والرضاعة والحضانة والإرث[5]. هذا إلى جانب المحافظة على المجتمع من

---

(١) حسن ابن خالد حسن سندى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) بلقيس إسماعيل داغستانى، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، المعهد العالى للفكر الإسلامى، بدون سنة نشر، ص ٧٩.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

(٤) خيرية حسين طة صابر، دور الأم فى تربية الطفل المسلم، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، صـ ٦٧.

(٥) أحمد ربيع عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩.

شيوع الفواحش وانتشار اللقطاء[1]. وقد أحاط الإسلام النسب بسياج متين من الحصانة يحميه من الضياع أو الشك ويدفع عنه الشبهة، فلم يقبل نفى النسب لمجرد اختلاف الشبهة.

فقد شك أعرابى فى الطفل الذى ولدته زوجته، فقال: يا رسول الله ولد لى غلام أسود وأنا أبيض فرفض ﷺ ما يرمى إليه الأعرابى من محاولة نفى النسب والطعن فيه وقال له: هل لك من ابل؟ قال نعم: قال: ما ألوانها، قال حمر: قال: هل فيها أورق؟ قال: نعم: قال: فمن أين ذلك اللون الأورق والإبل حمر؟ قال الرجل: لعله نزعة عرق وورث هذا اللون من جد بعيد، فقال له ﷺ لعل ابنك هذا نزعة عرق وورث هذا اللون الأسود من جد بعيد كذلك»[2]. لقد جعل ﷺ الطعن فى النسب كالكفر حيث إن الكفر يؤدى إلى الحرمان الأخروى والطعن فى النسب يؤدى إلى الحرمان الدنيوى[3].

٥ - حق الطفل بالرفق فى التربية:

حث التشريع الإسلامى على عدم استخدام الوالدين للقسوة أو العنف ضد أبنائهم بما يشتمل على كل أنواع الاذى النفسى والجسمى والاجتماعى للطفل، وذلك لإشعاره بالتحقير أو التقليل من شأنه، ومن هنا فلابد أن يعتمد الوالدان على أسلوب الرفق فى التربية ويكون ذلك بتوضيح أسباب السلوك غير المرغوب الذى يفعله الطفل وإفهامه بأن هذا السلوك ضار به أو بأسرته وهذا من شأنه أن يجعل الطفل يكبر على السلوك الصالح من تلقاء نفسه دون الحاجة إلى استخدام القسوة. فعن ابن جرير بن عبد الله عن النبى ﷺ قال «من لا يرحم لا يرحم»[4].

٦ - حق الطفل فى التنشئة على الأخلاق الفاضلة:

أكد التشريع الإسلامى على تنشئة الطفل على الأخلاق الفاضلة وهذا حق من أهم حقوق الأبناء على الآباء، حيث إن تنشئة الأبناء على الأخلاق الفاضلة والقيم الحميدة كفيلة لهم بعدم الوقوع فى الانحراف أو التعرض له. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾[5] فهذه الآية الكريمة تشير إلى تعليم الأبناء آداب الاستئذان. وقد أمر النبى ﷺ بتعليم الأبناء

---

(١) حسن ابن سندى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مطبعة دار التأليف، المجلد الأول، القاهرة ١٩٦٩، ص ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٣) أحمد ربيع عبد الحميد. مرجع سبق ذكره، ص ٩٠.

(٤) أحمد بن على بن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، الجزء العاشر، كتاب الأدب مكتبة الرياض، ص ٤٣٨.

(٥) سورة النور آية رقم ٥٩.

وتأديبهم فقال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا إليهم»[1].

كما كان يحرص على تأديب أبناء الصحابة رضى الله عنهم، فقال عمر ابن سلمه «كنت غلاما فى حجر رسول ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة، فقال لى ﷺ يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[2].

٧ - حق الطفل فى الذمة المالية الخاصة:

من مظاهر رعاية الإسلام لحقوق الطفل قبل ولادته الحفاظ على حقوقه المالية وهو ما يزال فى بطن أمه فلقد أوقف الإسلام توزيع الميراث إلا بعد ولادة الطفل حيا ليأخذ نصيبه منها وذلك خشية تقسيم التركة بين الورثة الأحياء وضياع نصيبه فيها.

٨ - حق الطفل فى القدوة الصالحة:

يجب أن يتسم الآباء بالقدوة الصالحة لأبنائهم حيث إن هذا السلوك يؤثر تأثيرا قويا فى أبنائهم وبمقدار تلقائية هذا السلوك وبعده عن التكلف والتعسف بمقدار ما يرسخ فى عقل الطفل ويصبح عملا آليا لا مجال فيه للفكر أو أعمال العقل حيث إن صدوره من الأبوين بهذا الشكل يؤكد الثقة فى نفس الطفل ويبعد جانب الشك عنه، مثل الصدق والأمانة والصوم والصلاة والزكاة.. فالطفل حينما يرى أبوايه يتسمون بهذه الصفات ويفعلون الأوامر المطلوبة منهم فإن الطفل يكتسب منهم كل ما يرى ويسمع[3].

لذا لا بد أن يكون الآباء قدوة حسنة للأبناء لكى يسلك الأبناء مسلكهم فى الحياة سواء كان خيرا فينعكس بالتنشئة الاجتماعية السليمة وإذا كان غير ذلك فهو يعكس التنشئة الاجتماعية غير السوية.

فى هذا يدلنا أمير المؤمنين سيدنا عمر رضى الله عنه، فقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو عقوق ولده فأحضر عمر الابن لينبهه إلى ضرورة طاعة والده، فقال الابن: أليس للولد على أبيه حق يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: بلى للولد على أبيه حق أن ينتقى أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن، فقال الولد: فإن أبى لم يفعل شيئا من ذلك فأمى زنجية كانت لمجوسى، وسمانى جعرانا، ولم يعلمنى القرآن حرفا: فالتفت عمر إلى الأب قائلا أجئت تشكو عقوق ابنك وأنت عققته قبل أن يعقل وأسأت إليه قبل أن يسئ إليك.

---

(١) ابن ماجة، السنن، كتاب الأدب، حديث رقم ٣٦٧١.

(٢) البخارى، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، حديث رقم ٥٣٧٦.

(٣) إبراهيم محمد عطا، دور الآباء و الأمهات فى دعم المنهج المدرسى للأطفال، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الدولى للطفولة فى الإسلام، جامعة الأزهر، القاهرة، فى الفترة من ٩ - ١٢ أكتوبر ١٩٩٠، ص ١٧٤.

٩- حق الطفل فى التعليم :

يؤثر التعليم فى تكوين شخصية الإنسان ورفع كرامته ويعد الإسلام أول من نشر التعليم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقال ﷺ ليؤكد على أهمية التعليم والعلم «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع»[١] وقال «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[٢].

إذا كان الإسلام أول من نشر التعليم فإن الأسرة يجب أن تحقق للطفل هذه الفريضة حيث يعجز الطفل عن تحقيقها بمفرده، ومن ثم يصبح تعليم الطفل على الأسرة المحيطة به وإن عجزت فيقع العبء على المجتمع الذى يعيش فيه باعتباره الجهة المسئولة عن الطفل وأسرته[٣].

١٠- حق الطفل فى البيئة الصالحة:

يولد الطفل صحيح الفطرة، والبيئة المحيطة به هى التى تغير من طبيعته فإذا كانت البيئة صالحة كان الطفل صحيح التنشئة «مهذبا، متعاونا، متدينا» أما إذا كانت غير ذلك فإنه يتأثر بها وما ينتج عنها[٤].

لذا فإن مربى الطفل لابد أن يلتزم بتهذيب خلق الطفل تهذيبا صحيحا بعيدا عن كل أنواع الانحرافات التى من الممكن أن يتأثر بها الطفل ولابد أيضا أن يعتدل فى تربيته لطفله.

١١- حق الطفل بالمساواة فى المعاملة:

يجب العدل والتسوية بين الأبناء فى المعاملة حيث إنها أساس التكوين الاجتماعى لهؤلاء الأبناء، وإذا لم يساو الأبوان فى معاملة أبنائهم نشأ بينهم الحقد والكراهية والبغضاء. فعن النعمان بن البشير قال: نحلنى أبى نحلا ثم أتى بى إلى رسول ﷺ ليشهده فقال: أكل ولدك أعطيته هذا؟ قال لا قال: أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟ قال بلى، قال: فإنى لا أشهد[٥]. ويضع الرسول الكريم قاعدة هامة وحقا من حقوق الطفل فى الإسلام وهى المساواة فى المعاملة لكى يتم تكوين الطفل بعيدا عن أى كراهية أو حقد أو شعور بالبغضاء من أخواته.

١٢- حق الطفل فى التربية الجسدية

لكل إنسان آلة يستعملها فى الحركة والعمل والسعى والضرب فى الأرض لكسب الرزق

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) فاطمة نذر، رعاية الأمومة والطفولة عند سيد قطب، مرجع سبق ذكره، ١٩٩٨، ص ٢٦٩.

(٤) سوزان المهدى، حقوق الطفل فى المجتمع المسلم وتطبيقاتها، المؤتمر الدولى، بعنوان، الطفولة فى الإسلام، جامعة الأزهر، المجلد الأول، فى الفترة من ٩ - ١٢ أكتوبر ١٩٩٠، ص ١١٥.

(٥) مسلم الجزء الخامس دار الجيل ودار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان - ص ٦٧.

والجهاد فى كل نواحى الحياة[1].

لقد حرص الإسلام أن ينمو الطفل نموا سليما صحيا وبدنيا بعيدا عن أى ضعف أو وهن.

فقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[2].

كان ﷺ يهتم بكل أنواع الرياضة التى تساعد الطفل على صحة أفضل طوال حياته وجعلها حقا من حقوقه على والده حيث قال ﷺ «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ولا يرزق إلا طيبا»، حيث إن هذه هى مقومات الطفل السليم الصحيح الذى يصلح لأن يكون لبنة طيبة فى كيان أمة عظيمة ينهض بكل أعبائها ويساعدها على التقدم والرقى.

١٣- حق الطفل فى التربية العقلية

أقر الإسلام حق الطفل فى تربية عقله وتغذيته بالمعرفة وتدريبه على التفكير المنظم والعقلانى الصحيح والنظرة البعيدة للأمور حتى يستطيع أن يحسن إدراك معانى الأشياء وما يحيط به من مؤثرات مختلفة[3].

يعتبر التعليم أهم وسيلة تساعد الطفل على تربية عقله بالتفكير الصحيح فى كافة الأمور والنظر إلى دقائقها نظرة شاملة فاحصة بعيد عن أى شوائب أو نقائص وقد اهتم الإسلام بالتعليم وحث عليه فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴿١١﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5].

يؤثر تعليم الوالدين وتفكيرهم واتجاهاتهم على طريقة تعليم أبنائهم، فمثلا إذا كان الوالدان متعلمين فنجدهما يحرصان على تعليم أطفالهم وبشتى الطرق والوسائل، ولا يشترط فى الوالدين المتعلمين فقط بل قد نجد غير المتعلمين تتوفر لديهم الرغبة فى تعليم أطفالهم لتعويضهم من العلم ولاقتناعهم أن التعليم هو الأسلوب الأمثل للتفكير الصحيح والرقى فى الحياة وإدراك الأمور والأشياء المحيطة بهم، ومن الممكن أن لا يعزز الوالدان الرغبة لدى أبنائهم فى التعليم، وتعليمهم مهنة تساعدهم على مطالب الحياة الصعبة ولكن – بلا شك – التعليم بصفة عامة وتعليم الطفل بصفة خاصة شيء هام وضرورى لرفع كرامته وهو حق من حقوقه على والديه.

١٤ - حق الطفل فى التربية النفسية:

أقر الإسلام على حق الطفل فى الاهتمام به من الناحية النفسية وصون كرامته من أى أذى

---

(١) حسن بن سندى، مرجع سبق ذكره.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

(٣) حسن بن خالد حسن سندى، مرجع سبق ذكره.

(٤) سورة المجادلة آية رقم ١١.

(٥) سورة الجاثية آية رقم ٢٤.

نفسى من الممكن أن يتعرض له، حيث إن الطفل فى هذه المرحلة العمرية يحتاج إلى العناية به لإكسابه سلوك سوى وطبيعى بعيد عن الانحرافات النفسية.

١٥ - حق الطفل فى حمايته من التعرض للانحراف:

أقر الإسلام حق الطفل وحمايته من التعرض للانحراف عن طريق البعد عن التفكك الأسرى لأن هذه المشكلة الأساس الأول فى التعرض للانحراف عند الأطفال، فمثلا عند حدوث مشاكل فى الأسرة أمر التشريع الإسلامى الزوجين بالصبر والتحمل من أجل سلامة الأطفال، إما إذا وصل الحد إلى الانفصال بين الزوجين أمر التشريع الإسلامى الزوج النفقة على أطفاله لكى يضمن أسباب الحماية من الانحراف أو التعرض له. فقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[1].

١٦ - حق الطفل فى عدم استغلاله جنسيا:

أقر الإسلام حق الطفل فى عدم استغلاله جنسيا أو هتك عرضه بأى شكل من الأشكال، ووقف كل الممارسات الجنسية المنحرفة وقفة حادة صارمة أراد من خلالها أن يحفظ للطفولة كرامتها وبراءتها ضد كل من أراد أن يستغلها جنسيا بعيدا عن أدنى معانى الكرامة الإنسانية، حيث يصبح الطفل بفعل هذا الاستغلال كآلة أو كلعبة يلعب بها أشخاص نزعت من قلوبهم الرحمة والعفة والحياء. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

من هنا نرى أن التشريع الإسلامى حفظ حق الطفل فى عدم التعرض له جنسيا وأقر العقوبات على من يساعد على الانحرافات الجنسية للأطفال، ومهد لهم طريق العفة والحياء من أول إدراكهم لمعنى الحياة فأمر الوالدين بالتفريق بين الأطفال الذكور والإناث فى المضاجع وأمرهم بالاستئذان عند إرادة الدخول على الوالدين أو الأهل[3]. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ ﴿٥٩﴾ ﴾[4].

مما لا شك أن الإسلام قد أحاط الطفولة بحقوق توفر لهم الحماية والأمان فى ظل رعاية الوالدين داخل محيط الأسرة والتى من أهمها حقه فى عدم استغلاله جنسيًا أو بدنيًا فى مرحلة عمرية لا يدرك فيها ما يتعرض له من مخاطر.

انطلاقا مما سبق نرى أن المنهج الربانى وضع للبشرية أجمع نموذجاً متكاملاً لحماية هذه

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٣٣.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٣٣.

(٣) عادل محمد صالح أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

(٤) سورة النور آية رقم ٥٩.

الفئة المهمشة، ابتداء من القواعد التى يجب أن يحتذى بها كل من الزوج والزوجة عند تكوين الأسرة، وأحاطها بسياج متين من القدسية وأضفى عليها من الجلال ما يعلى من قدرها وشأنها ويسمو بها فوق ما يرتبط به الناس فى شئون حياتهم من عقود والتزامات وانزلها فى النفوس منزلة المهابة والإكبار.

ثم أوضح المنهج الحقوق التى يجب أن يؤديها كل من الوالدين تجاه أطفالهما حتى يتمكنا من تنشئتهم تنشئة صالحة سوية بعيدا عن وسائل الانحراف المختلفة، كما أقسم بحقوق الطفل واقرها، وإتباع هذا المنهج يضمن الاستقرار الأمنى للأسرة والمجتمع.

من هنا فإن صانع الشىء أولى بإصلاحه، فإن الله عز وجل خلق الكون بما فيه من البشر ويعلم حسناتهم وسيئاتهم وهو قادر على إصلاحه من غيره، فإذا عجزت الأسرة عن أداء وظائفها تجاه ذاتها أو أعضائها، وفر لها الحلول التى تجعلها تقوم بأداء وظائفها تجاه أعضائها فمثلا الأسرة الفقيرة التى يوجد بها أطفال محرمون من رعاية الوالدين سواء فقدهما بالوفاة أم الطلاق أم الانشغال بأمور الحياة، اعتنى بهم الشارع وأجاز لهم:

١ - التكافل الاجتماعى :

إذا حرم الطفل من رعاية الوالدين بالوفاة أو بغيرها وسواء كان يتيما معلوم النسب أم مجهول النسب أو طفل بلا مأوى وجبت كفالته فى حضن أسرة مؤمنة وبين عائلة حميمة، ويصبح من يكفله بمثابة الوالدين ويكون مطالبا بما يطالب به الوالدان من الإنفاق، المأوى، التعليم، الصحة، الرفاهية[1].

هذا ما يطلق عليه فى وقتنا المعاصر «الأسر البديلة» وهى التى ترغب فى إيواء طفل أو مجموعة الأطفال المحرومين من رعاية الوالدين، وإذا تعذر كفالة هؤلاء الأطفال ضمن أسر بديلة فمن الواجب على المجتمع تقديم الخدمات الأساسية لهم وذلك باستحداث دور إيواء لهؤلاء الأطفال تراعى فيها الجوانب الإنسانية، الاجتماعية، التربوية، النفسية.

ولا يقف دور المجتمع على مجرد الاستحداث إنما يتعدى دوره إلى المتابعة والمراقبة المباشرة للأداء فى هذه الدور لضمان عدم تعرض الأطفال لأى نوع من الاستغلال أو العنف فى هذه الدور. قال ﷺ « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»[2].

---

(١) الأطفال فى الإسلام، رعايتهم ونموهم وحمايتهم، جامعة الأزهر بالتعاون مع منظمة اليونيسيف، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الأدب، باب حق اليتيم، ٢/ ١٢١٣.

وقال ﷺ «من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمه أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطي»[1]. وقال ﷺ «من ضم يتيما من المسلمين فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة»[2]. وقال ﷺ «والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتم، ولأن له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه»[3].

إن هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدلنا على الإيواء الكامل للأطفال المحرمين من رعاية الوالدين والرحمة بهم والمخالطة الإنسانية بهم، وضمها إلينا حتى مرحلة الاستغناء التام الذى يعنى وجود القدرة الخاصة بهم على مواجهة شئون الحياة بكفاءة واقتدار.

٢ - الزكاة:

أجاز علماء الأزهر توصيف أموال الزكاة للأطفال المحرومين من رعاية الوالدين[4]، حيث إن أداء الأفراد للزكاة المفروضة يؤمن تعزيزات ضخمة لأوجه الخير العامة التى من بينها التعليم، الصحة، الخدمات الاجتماعية. قال ﷺ «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»[5].

٣ - الصدقة:

أوجب الشارع الصدقة للأطفال المحرومين من رعاية الوالدين، وقال ﷺ «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال عند الله سرور تدخله على قلب مؤمن تكشف عنه كربه أو تقضى عنه دينه ولأن أمشى فى حاجة أخى المسلم أحب إلى من أن اعتكف شهراً»[6].

من هنا نرى الشارع أجاز التكافل الاجتماعى والزكاة والصدقات للأطفال المحرومين ومن أهم هؤلاء أطفال بلا مأوى حيث إن هؤلاء الأطفال دائما فى حيز تصرف الآخرين فهم مسئولون عن غيرهم فإذا استطعنا توفير الموارد المادية التى تمنعهم من الانحراف سواء كان بالتكافل الاجتماعى أم الزكاة أم الصدقات نكون قد مهدنا لهم سبل العيش فى حياة كريمة خالية من كل

(١) أخرجه البخارى فى صحيحة، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتما ٤/ ٨١ حديث ٦٠٠٥.

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب البر، باب فى رحمة اليتيم وكفالته، مجلد ٤، حديث رقم ١٩١٧، ص ٢٣٠.

(٣) أورده المنذى فى الترغيب والترهيب، كتاب الحدود، باب من أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين، ٣/ ٣٤٩.

(٤) الأطفال فى الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ٧٠.

(٥) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الزكاة، باب حقوق المال ٢/ ١٢٩/ ح ١٦٦٣.

(٦) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير، ١٢/ ٤٥٣/ ح ١٣٦٤٦.

أنـواع الشـقاء، ولكن إذا تأملنا حال الطفولة فى وقتنا المعاصـر وبُعْد الوالدين عن المنهج الربانى وتطبيقه، نرى أن الأسر أصابها الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى تشرد أطفالها منهـا وفقدناهـم الكثير من حقوقهم التى حددها لهم المنهج الربانى، وأصبح الشـارع هو مصيرهم المحتوم.

□□□